قضية فلسطين والقدس
فى دراسات المؤرخين المسلمين

للدكتور ابراهيم احمد العدوى
أستاذ التاريخ الحديث - كلية دار العلوم

لَمْ يقاس بلد عربى الأمرَّين فى حياته باسم التاريخ مثلما قاست فلسطين وحاضرتها القدس . إذ اتخذت القوى المعادية للأمة العربية من هذا البلد الأمين على مر العصور ، بابا تتسلل منه تحت ستار تزييف التاريخ لتحقيق مآربها الفاسدة وأطماعها فى سائر أرجاء العالم العربى . فقد دهم الغزو الصليبى فلسطين والقدس فى إطار من التاريخ ، وتجدد ذلك الغزو مرة أخرى على يد الاستعمار الأوربى فى مطلع هذا القرن يحدوه التاريخ ، ثم ابتليت فلسطين اليوم، ومعها الأمة العربية كلها بشر ما بليت به أمة وراء ادعاءات وأساطير نُسبت إلى التاريخ .

ويرجع السبب فى استمرار هذه الظاهرة الشاذة إلى أن فلسطين تنعم بمركز جغرافى عظيم الجاذبية، وسط مجتمع بناؤه السياسى عربى إسلامى، حافل فى نفس الوقت بتراث الديانات السماوية الكبرى الثلاث التى أنزلها الله على عباده ليخرجهم من الظلمات إلى النور . وظل هذا المركز الجغرافى الجذاب أعظم اغراء سياسى لأعداء العروبة من سائر المراكز العربية الإسلامية الأخرى ، حيث وجدوا فى هذا التراث الدينى سبيلا لانتحال الدعاوى الباطلة التى تبرر لهم تحقيق ما يرتكض فى أحشاء مجتمعاتهم الاستعمارية من حركات توسعية سياسية أواقتصادية أودينية أوهذه كلها مجتمعة فى حركة طامة واحدة على نحوماحدث فى زحف الصليبيين على الشام وفلسطين وكذلك حين دنست الصهيونية أرض فلسطين والقدس ، على نحوما نتألم له اليـــوم .

وشهدت فلسطين نتيجة هذا العدوان المتواصل الحلقات على مقدساتها حشوداً من علماء المؤرخين ، عبأتها الأمة العربية إلى جانب ما استطاعت إعداده من قوة لترهب بها أعداء الله وأعداءها كذلك . إذ غدت المعركة فى سبيل الدفاع عن فلسطين والقدس معركة تاريخية بين الأمة العربية وأعدائها وصار فيها مداد العلماء — كما قال الرسول الكريم — مساويا لدماء الشهداء . وتكوّن وسط تلك الحشود من علماء المؤرخين المسلمين مجموعة من الخبراء المتخصصين فى « قضية فلسطين والقدس » ، ساندوا بمؤلفاتهم وخبراتهم خطط القادة العسكريين فى ميادين القتال ، وساروا معهم جنبا إلى جنب ، على طريق « تحرير فلسطين » .

وتُعد مؤلفات أولئك المؤرخين المسلمين وثائق هامة لابد من دراستها وإذاعتها فى هذه المرحلة المعاصرة من « القضية الفلسطينية » ، لاعظة وعبرة ، ولا لأن التاريخ يعيد نفسه — لأن التاريخ لايعيد نفسه فعلا — ولكن لأن هناك قوى ومؤثرات جغرافية وبشرية وذكريات تاريخية مايزال — دورها يؤثر إلى اليوم فى صياغة الأحداث التى تواجهنا ، نحن أبناء الأمة العربية الآن . إذ تحوى تلك المؤلفات تحليلا شاملا لطبيعة الغزو الدائم الذى تتعرض له فلسطين ، بما يجعل خبرة الآباء والأجداد قاعدة عريضة تستطيع « حركة تحرير فلسطين » اليوم أن تنطلق منها آمنة على نفسها من العثرات والنكسات زاحفة نحو النصر المبين .

وتكوّنت تلك القاعدة العريضة ، فى صبر وأناة ، على يد علماء المؤرخين المسلمين طوال قرون متواصلة ، بدأت فى القرن الثانى عشر الميلادى ، حين ظهرت حركة الإفاقة العربية الإسلامية لخطورة الزحف الصليبى على فلسطين والشام ، وانتهت فى القرن الثامن عشر الميلادى ، الذى شاهد يقظة الأمة العربية ضد الاستعمار الأوربى ومؤامراته ، والتى كان أخطرها مؤامرة التمهيد للاستعمار الاستيطانى اليهودى فى فلسطين . وتعتبر مؤلفات المؤرخين المسلمين — برغم امتدادها عبر تلك القرون الطويلة — مثالا للترابط الفكرى فى سبيل

الدفاع عن قضية فلسطين والقدس، ودحض الدعاوى التاريخية الزائفة التى روجها أعداء الأمة العربية ، وتزويد المجاهدين فى « حركة التحرير الفلسطينية » بكافة أسباب الثقة بالنفس والإيمان الراسخ بشرعية حقوقهم فى فلسطين التى يبذلون حياتهم رخيصة فى سبيل الدفاع عنها وحماية مقدساتها .

واستهلت تلك السلسلة من مؤلفات المؤرخين المسلمين أبحاثها بشرح وجهة النظر الإسلامية العربية فيما يتعلق بفلسطين وكيف أن تلك البلاد من أرض الشام إنماهى أرض الميعاد للمسلمين لاينازعهم فى شرعيتها منازع وذلك رداً على المزاعم الاستعمارية التى تستترت إذ ذاك وراء « الصليب»، والصليب منها براء . وكان من أروع الحجج التى استند إليها المؤرخون المسلمون المراسلات التى دارت بين صلاح الدين الأيوبى ورتشارد قلب الأسد ملك انجلترا غداة استرداد المسلمين لبيت المقدس ، والإطاحة بالسلطان الاستعمارى الصليبى من تلك الحاضرة المقدسة . إذ حاول رتشارد الدخول فى مفاوضات مع صلاح الدين محاولا استرداد القدس سلما، بدلا من القتال ، مستنداً إلى ما للقدس من مكانة فى الدين المسيحى . وأجاب قائد «حركة التحرير الفلسطينية » إذ ذاك ، وهو صلاح الدين إجابة تاريخية رائعة ، مبينا مكانة القدس فى الدين الإسلامى إلى ما لها من إجلال واحترام فى نفوس المسيحيين، وأن مكانة القدس بعد ذلك فى نفوس المسلمين تفوق منزلتها عند المسيحيين أنفسهم .

وأوردت مؤلفات المؤرخين المسلمين الوثائق التاريخية المتبادلة بخصوص « قضية فلسطين والقدس » فى الكتاب الذى بعث به رتشارد إلى صلاح الدين، والرد الذى أجاب به هذا القائد المسلم . إذحاول ملك انجلترا الاستناد إلى دعوى تاريخية ظاهرها غير باطنها لتبرير استعادة القدس ، فقال فى رسالته لصلاح الدين ، « أيها السلطان العظيم ، تعلم أن المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت البلاد . وقد أخذ الأمر حقه ، وليس هناك حديث سوى القدس ، والصليب والبلاد . والقدس متعبدنا ، ما ننزل عنه ولولم يبق منا إلا رجل

واحد ، وأما البلاد فيعاد إلينا ماهو قاطع (الأردن ، من أرض فلسطين) . وأما الصليب فهو خشبة عندكم لامقدار لها ، وهو عندنا عظيم . فيمن به السلطان علينا ونصطلح ، ونستريح من هذا التعب » .

وبعث صلاح الدين برد يعتبر أروع وثيقة تاريخية لدعم حقوق العرب والمسلمين فى فلسطين ، وأعظم مستند للدفاع عن« القضية الفلسطينية » ، فبعث إلى رتشارد مفندا مزاعم الصليبيين التاريخية ، وموضحا الحق العربى فى فلسطين والقدس قائلا له « أما القدس فهولنا كما هولكم ، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم ، فإنه مسرى نبينا ، ومجتمع الملائكة . فلاتتصوروا أننا ننزل عنه . وأما البلاد فهى لنا فى الأصل ، واستيلاؤكم عليها كان طارئا لضعف من كان فيها من المسلمين فى ذلك الوقت . وأما الصليب فهلاكه عندنا فرية عظيمة ، لايجوز أن نفرط فيها إلا لمصلحة راجعة إلى الإسلام » .

واقترن بهذه الوثائق السياسية التى أوردها المؤرخون المسلمون وثائق أخرى دينية واقتصادية لدعم « حركة التحرير الفلسطينية » . إذ تطلبت هذه الحركة الاهتمام بالأصول التاريخية للآثار الإسلامية فى فلسطين من مقابر الأنبياء القديمة الموجودة بها ، والمعابد والمساجد العتيقة التى اكتسبت قدسية لاتفوقها إلا قدسية مكة والمدينة . وصار المسجد الأقصى بالقدس موضع اهتمام المؤرخين المسلمين والإشادة بمكانته استناداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كذلك .

واتخذ هذا اللون من المؤلفات التاريخية الخاصة بفلسطين والقدس طابعا اشتهر باسم « كتب الفضائل » ، وهى تعنى تعريف المسلمين بتلك البلاد التى تعرضت للعدوان ، وما لتلك البلاد من حقوق دينية على المسلمين تستوجب الدفاع عنها فريضة مقررة . وكان لهذه الكتب التاريخية دور هام فى دعم حركة التحرير الفلسطينية ، وتزويد المقاتلين بروح معنوية عالية ، لأن جهادهم يستند إلى حقوق شرعية يؤيدها الله والرسول . ونجحت هذه الكتب التاريخية أيضاً فى اجتذاب عامة المسلمين إلى فلسطين والقدس ، وبث حركة هائلة

من العمران فيها ، إذ رددت «كتب الفضائل» أن زيارة فلسطين والقدس عمل يستهدف مرضاة الله ، وأن إنفاق الصدقات على المؤسسات الموجودة بها مثل المساجد وغيرها من المؤسسات العلمية وسيلة من وسائل القربى إلى الله ، وسبيل لأن ينال صاحبها خير الثواب فى الدنيا والآخرة .

وزودت كتب الفضائل «حركة التحرير الفلسطينية» بأسباب القوة المادية حين أوضحت أهمية فلسطين والقدس من الناحية الاقتصادية ، وأنها عصب الحياة الاقتصادية لبلاد الشام ، التى تمتلك — حسب أقوال الخبراء الاقتصاديين — تسعة أعشار ثروة العالم . ولم يكن فى ترديد هذه الوثائق الاقتصادية أية مبالغة من جانب المؤرخين المسلمين ، لأن بلاد الشام ، تنعم بفضل موقعها الجغرافى على شرق البحر المتوسط ، بالسيطرة على طرق التجارة العالمية التى كانت تحمل إذ ذاك خيرات الشرق الأقصى إلى أوربا . وشرحت كتب الفضائل كيف أن الاستعمار الأوربى الذى تستر تحت ستار الدين والصليب استهدف فى حقيقة الأمر انتزاع السيادة التجارية من أهل فلسطين والشام ، وأن أول شىء قام به المستعمرون غداة اغتصابهم لفلسطين والقدس هو إقامة مراكز تجارية على سواحلها المطلة على البحر المتوسط ، وسلب خيرات تلك البلاد لأنفسهم .

وشجعت مؤلفات المؤرخين المسلمين بذلك عامة المسلمين على الارتحال إلى فلسطين وما جاورها من بلاد الشام ، لا خضوعا للعواطف الدينية فحسب ولكن للإفادة من خيراتها المادية كذلك ، سواء فى ميدان التجارة ، أو الزراعة . وصار هذا العامل المادى ينبوعا دافقا يزود جماعات المجاهدين فى سبيل القضية الفلسطينية ، والذائدين عن حياض القدس بما يكفل لهم العزة والمنعة ، فضلا عن الارتباط الوثيق مع مصادر الاقتصاد الأخرى فى العالم الإسلامى .

واستطاع المؤرخون المسلمون عن طريق الأبحاث التى قدموها فى كتب الفضائل أن يحافظوا على التماسك الفكرى واستمراره فى العالمين العربى

والإسلامى ، لدعم « قضية فلسطين والقدس » ، وأن يمدوا « حركة التحرير الفلسطينية » بكافة أسباب التوعية السليمة ، برغم طول مراحل القتال وتعدد مراكز المقاومة وميادين القتال . وتجلت مظاهر هذا التماسك والاستمرار الفكرى لدى جماعات المؤرخين المسلمين فى مظهرين هامين .

أولها : النزعة للاحتفاظ بعنوان واحد لعدد من المصنفات التى وضعوها خالفا عن سالف ، حتى بدت تلك السلسلة من المكتبة الفلسطينية طبعات متجددة لمؤلف واحد ، تحمل كل طبعة جديدة مزيداً عن سابقتها من حيث المادة العلمية ، وقوة الحجة ، وروعة البيان والإقناع . وغدت مادة مؤلفات المؤرخين المسلمين ينبوعاً غزيراً بالمعلومات التى تهم « قضية فلسطين والقدس » من شتى النواحى التاريخية والجغرافية والآثار والطبوغرافيا ، فضلا عن الفقه وكل ما يعنى تلك القضية من أصول الدين الإسلامى .

ثانيهما : اشتراك عدد من العلماء من أسرة واحدة ، أو من مدرسة واحدة فى معالجة موضوع واحد من مواضيع سلسلة المكتبة الفلسطينية . ونال بعض أبناء تلك الأسرة أو المدرسة لقباً واحداً هو « المقدسى » ، دلالة على تفرغهم وتخصصهم الدقيق فى القضية الفلسطينية ، التى أنكروا جميعا ذاتهم فى سبيل الدفاع عنها ، على نحو ما يقوم به الفدائيون من المقاتلين . ولم يكن هناك من سبيل لمعرفة المشتركين فى تلك السلسلة التاريخية غير الاضافات التى تلحق باللقب ، مثل كلمة فلان « الأب » ، أو فلان « الابن » ، أو إضافة اسم العلم ، أو الكنية التى اشتهر بها ، أو الوظيفة التى شغلها .

وحرص المؤرخون المسلمون وسط هذا التماسك الفكرى واستمراره على تطوير أبحاثهم ، حتى ظهرت من بينهم أربع مجموعات كبرى ، صاحبت تطور « قضية القدس » من القرن الثانى عشر إلى القرن الثامن عشر الميلادى . ويمكن أن نمايز بين تلك المجموعات حسب مصنفاتهم على النحو التالى :

١ — المجموعة الأولى ، ويمكن أن نسميها « رواد حركة التحرير الفلسطينية » وهى جماعة المؤرخين التى ساندت صلاح الدين الأيوبى فى تحرير القدس ،

ثم خلفاءه من بعده لتحرير باقى فلسطين والشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر.

٢ — المجموعة الثانية ، ويمكن أن نسميها « المؤرخين الفقهاء » وهى المجموعة التى ساندت اتساع مفهوم « حركة التحرير الفلسطينية » نتيجة تركيز الصليبيين هجومهم على مصر بدلا من الشام وفلسطين باعتبارها رأس المقاومة لمشاريعهم فى القدس ، منذ عهد صلاح الدين الأيوبى . وتجلى نشاط هذه المجموعة طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى . وصارت مصنفاتهم ينبوعاً دافقاً يستمد منه من جاء بعدهم من المشتغلين بالقضية الفلسطينية.

٣ — المجموعة الثالثة ، ويمكن أن نسميها « عشاق فلسطين » وهى جماعة المؤرخين الذين لم يقتصروا فى مصنفاتهم على الدراسة النظرية، وإنما عمدوا إلى زيارة فلسطين والقدس ، حبًّا فى تطبيق النظرى على الواقع ، والاهتمام باظهار مشاهداتهم الشخصية ، تشويقاً لغيرهم على الارتحال إلى فلسطين والقدس . وعاصرت أعمال « عشاق فلسطين » القرنين السادس عشر ، والسابع عشر الميلادى ، وهى الحقبة التى كان الاستعمار العثمانى جاثماً فيها على البلاد العربية كلها .

٤ — المجموعة الرابعة ، ويمكن أن نطلق عليها « جماعة إحياء التراث الفلسطينى » ، وهى التى تولت فى القرن الثامن عشر الميلادى ، جمع دراسات من سبقهم من خبراء القضية الفلسطينية من القرن الثانى عشر حتى أيامهم فى القرن الثامن عشر ، وحماية هذا التراث من الضياع أمام طلائع الزحف الأوربى الاستعمارى على فلسطين والشام ، وما صاحب ذلك من مؤامرة التمهيد للاستعمار الاستيطانى اليهودى .

ويقف على رأس المجموعة الأولى من « رواد حركة التحرير الفلسطينية » اثنان من كبار المؤرخين المسلمين ، هما ، « أبو الحسن على الربعى » ، و« أبو المعالى المشرف بن المرجى بن ابراهيم المقدسى » . أما المؤرخ الأول فقد تناول فلسطين فى مؤلفه الذى أتمه سنة ٤٣٥هـ-١٠٤٣ م عن الشام

بعنوان « الإعلام بفضائل الشام ودمشق » . وكان السبب فى الجمع بين هذين البلدين هـ أن هذا الإقليم الجغرافى كان نهبا لمشاريع الاحتلال الصليبى ومستقرا لإمارتهم . وأظهر الربعى فى كتابه أهمية بلاد الشام، مستنداً إلى الأحاديث النبوية ، وهو أمر جعل الإقبال شديداً على تلك المؤلفات . ومن ذلك « عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : الخير عشرة أعشار ؛ تسعة بالشام وواحد فى سائر البلدان . والشر عشرة أعشار ؛واحد بالشام وتسعة فى باقى البلدان ، وإذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم » . ومن ذلك أيضاً مارواه أبو أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أنزلت علىّ النبوة فى ثلاثة أمكنة ، بمكة والمدينة وبالشام » . وصار هذا المصنف مرجعا نهج على منواله رجال المجموعة الأولى ، حيث تفتحت أعينهم إلى أهمية الاستناد إلى الأحاديث النبوية فى الدفاع عن« القضية الفلسطينية » . .

وخطا المؤرخ الثانى من مؤرخى المجموعة الأولى ، وهو« أبو المعالى المشرف ابن ابراهيم المقدسى » خطوة إلى الأمام فى ميدان التخصص فى القضية الفلسطينية . إذ اهتم بمدينة القدس ، وجعلها تتمتع بحقوقها كاملة من حيث العناوين ، شأنها فى ذلك شأن الشام ودمشق . فجعل عنوان مصنفه « فضائل البيت المقدس والشام » . وكان السبب فى ذلك أن هذا المؤرخ كان معاصراً لبعض الشخصيات الإسلامية التى لقيت ربها مستشهدة حين هجم الصليبيون على بيت المقدس ، وشاهد عن كثب دعاوى أولئك الأعداء الزائفة عن هذا المكان الإسلامى المقدس . وبدأ تأليفه بعرض تاريخى موجز لبيت المقدس القديمة ، ثم فتح العرب لها على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبناء الخليفة الأموى عبد الملك فى حرم القدس . واتبع المؤلف بعد ذلك دراسته بالكلام على فضائل القدس ، وفضل الصلاة فيها ، وسرد الأحاديث النبوية التى قيلت فى مدح القدس ، وهو منهج الفضائل الذى حافظ به ذلك المؤرخ على التماسك الفكرى منذ مؤلف سلفه « أبو الحسن على الربعى» .

ولقى هذا اللون من تأليف مؤرخى المجموعة الأولى رواجاً كبيراً بين

الناس ، واستمد منه خطباء المساجد الكثير من الحوافز لشحذ هم الناس ، وبخاصة حين استرد صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس . وأعلن تلك الوثائق التاريخية عن القدس القاضى محيى الدين بن زكى الدين من على منبر المسجد الأقصى على جماهير الناس فى صلاة الجمعة التالية لاسترداد المسلمين لهذه المدينة المقدسة ، فقال عنها ، « فهو موطن أبيكم ابراهيم ، ومعراج نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام . وقبلتكم التى كنتم تصلون اليها فى ابتداء الإسلام، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ، ومقر الرسل ، ومهبط الوحى ، ومنزل تنزل الأمر والنهى . وهو فى أرض المحشر ، وصعيد المنشر ، وهو فى الأرض المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه المبين ، وهو المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين .... وهو أول القبلتين وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، لاتشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولاتعقد الخناجر بعد الموطنين إلا عليه ... أليس هو البيت الذى ذكره الله فى كتابه ونص عليه فى خطابه ، فقال تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا)

وشارك فى هذا اللون من التأليف التاريخى لدعم « القضية الفلسطينية » من رجال المجموعة الأولى ، المؤرخ الداعية « أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى» ، (توفى سنة ٥٩٧ هـ ١٢٠٠ م) . إذ أجاد فى خطبه الإفادة من الوثائق الدينية المتعلقة بالقدس ، حتى صارت رسالته « فضائل القدس » تكوّن فصلا هاما من مصنفه الكبير « مثير الغرام إلى ساكن الشام » ، وتثير الحماسة فى نفوس الجماهير ، التى كثيراً ما اندفعت تحت تأثير حججه إلى الشوارع تأييداً للمجاهدين فى سبيل فلسطين .

ويختتم تلك المجموعة الأولى من « رواد حركة التحرير الفلسطينية » اثنان من أسرة « بنى عساكر » التى اشتهرت بمن أنجبتهم من العاملين فى ميدان التاريخ الإسلامى . أما أحدهما فهو القاسم بن عساكر الذى نقل عن والده المتوفى سنة ٥٧١ هـ ١١٧٦ م ، قدراً كبيراً من دراسته عن الشخصيات الشامية والفلسطينية ،

وكذلك عن تاريخ دمشق . ثم تابع القاسم بن عساكر سياسة والده فى الاشتغال بالوعظ فى دمشق ، ثم زار القاهرة وأخيراً القدس ، حيث قرأ فى سنة ٥٩٦هـ-١٢٠٠م مصنفه المشهور باسم « الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى » . وترجع أهمية هذا المصنف إلى أنه صار مرجعا ربط دراسات الرواد للقضية الفلسطينية ممن جاء بعدهم . إذ اعتمد القاسم بن عساكر فى تأليفه اعتماداً كبيراً على كتاب الرائد الأول ، أبو المعالى المشرف ، فضلا عما أضافه من ثمار دراساته الخاصة .

ونقل عن القاسم بن عساكر نقلاً كبيراً أيضاً ابن عمه وحامل تقاليد أسرة بنى عساكر فى خدمة قضية فلسطين والقدس ، وهو أمين الدين أحمد ابن محمد إذ ألّف مصنفا جعل عنوانه « كتاب الأنس بفضائل القدس » ، وقرأه فى دمشق سنة ٦٠٢هـ-١٢٠٦ م ، تاركا بذلك لمؤرخى القرن الثالث عشر من رواد حركة تحرير فلسطين دراسة مترابطة الحلقات واضحة المعالم . إذ نقل الكثيرون عن هذا المصنف الأخير ، نقلا كان من حسن الحظ حرفيا حفظوا به ما جاء فى الأصل الذى لم يسلم من عادية الزمن .

وترك « رواد حركة التحرير الفلسطينية » فى مطالع القرن الرابع عشر زمام الدفاع عن « قضية فلسطين والقدس » للمجموعة الثانية من « المؤرخين الفقهاء » الذين حلّ دورهم . ذلك أن دخول مصر على عهد صلاح الدين وخلفائه ميدان القتال ، وما ترتب على ذلك من تحرير القدس وشطر كبير من بلاد الشام ، جعل مفهوم « حركة التحرير الفلسطينية » يتسع ، وتطرأ عليه مؤثرات جديدة ومزاعم تاريخية أخرى أطلقها المستعمرون الصليبيون . وكان من أهم التعديلات التى طرأت على مخططات الصليبيين هى ترديد الافتراءات القائلة بأن حقهم فى فلسطين قد اغتصبه صلاح الدين وخلفاؤه ، وأن السبيل لاسترداد هذا الحق هو ضرب مصر أولا ، أو على نحو ما ردده شعارهم إذ ذاك أن مصر هى الطريق إلى بيت المقدس .

واقتضى هذا التطور فى المزاعم الصليبية قيام مجموعة « المؤرخين الفقهاء »

الذين فى استطاعتهم تفنيد هذه المزاعم الجديدة ، والتأكيد على حقوقهم الشرعية التى نالوها باسترداد فلسطين والقدس . وتولى الصدارة فى هذه المرحلة مجموعة كبيرة من الخبراء بالقضية الفلسطينية والقدس . ذلك أن مهمة الدفاع فى هذه القضية لم يقتصر على أبناء فلسطين وحدهم وإنما أسهم فيها علماء المؤرخين من مصر أيضاً ، نتيجة اتساع مفهوم « حركة التحرير الفلسطينية » فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وعمل هذا الفريق الكبير من أبناء فلسطين ومصر جنبا إلى جنب ، وتبادلوا أيضاً حمل راية الجهاد ضاربين المثل العملى على أهمية التضامن العربى الإسلامى فى سبيل حماية فلسطين والقدس .

ويأتى على رأس هذه القائمة من المؤرخين الفقهاء من أبناء فلسطين الشيخ برهان الدين الغزاوى (توفى سنة ٧٢٩ هـ ١٣٢٩ م) ، إذ وضع مصنفا بعنوان « باعث النفوس إلى زيادة القدس الشريف المحروس » ، أوضح فيه أهمية الزيارة إلى هذا المركز الدينى الإسلامى ، وما تضمه فلسطين ومدنها أيضاً من آثار إسلامية هامة تؤكد حقوق العرب هناك . واشتمل هذا المصنَّف على ثلاثة عشر فصلا ، كلها مدعمة بالأسانيد الدينية والتاريخية ، وذلك على النحو التالى :

الفصل الأول : فى ابتداء بناء المسجد الأقصى الشريف.

ومن أمثلة الأسانيد الدينية التى ساقها فى هذا الفصل الأول ما رواه البخارى عن أبى ذر الغفارى ، « قلت ، يا رسول الله ، أى مسجد وضع فى الأرض أولا؟ قال المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة » .

الفصل الثانى : فى شد الرحال إليه (المسجد الأقصى) ، وفضل إتيانه ، ومن أين يدخل الداخل مدينة القدس ، ومن أين يدخل مسجدها ، الخ .

ومن الأسانيد الدينية التى ذكرها فى هذا الفصل : عن أبى سعيد

الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجد المدينة ، ومسجد ابراهيم ، ومسجد بيت المقدس . والصلاة فيه — أى بالمسجد الحرام — مائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى المسجد الأقصى بعشرة آلاف صلاة » .

وروى أبوذر « قلت يارسول الله ، أخبرنا عن بيت المقدس ، قال : أرض المحشر والمنشر ، ايتوه فصلوا فيه » .

وعن كعب رضى الله عنه قال : «إن الله تبارك وتعالى بابه مفتوح فى سماء الدنيا بحذاء بيت المقدس ، ينزل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن أتى بيت المقدس يصلى فيه » .

الفصل الثالث : فى فضل الصلاة وفضل الحج إلى مسجد المدينة والمسجد الأقصى الشريف فى عام واحد .

ومن الأسانيد الدينية التى رواها فى هذا الفصل عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن الخضر والياس يصومان كل عام شهر رمضان فى بيت المقدس ثم يتوجهان إلى الحج الشريف .

الفصل الرابع : فى فضل الإحرام فى بيت المقدس وفضل الآذان فيه .

ومن الأسانيد التى تضمنها هذاالفصل،عن أمسلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أهل بحج أوعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة » .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما « من أحرم معتمراً فى شهر رمضان من بيت المقدس عدلت عشر غزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وعلى هذا النحو جرت سائر فصول هذا المصنَّف الباقية ، وهى :

الفصل الخامس : فضل الصلاة فيه والصيام .

الفصل السادس : فضل الصخرة وأنها من الجنة .

الفصل السابع : فضل البلاطة السوداء ومن أين يدخل الداخل الصخرة .

الفصل الثامن : فى قبة المعراج وباب النبى وباب الرحمة ، ومحراب زكريا والصخرات التى فى مؤخرة المسجد،وباب سكينة ، وباب حطة ، ومحراب عمر بن الخطاب ، وقبة السلسلة ، وباب التوبة . الخ .

الفصل التاسع : فى ماء بيت المقدس ، وعين سلوان ، وجب الورقة .

الفصل العاشر : فى الساهرة ، وفضل من مات فى بيت المقدس .

الفصل الحادى عشر : فى من رأى أن يزور تلك المواضع الشريفة .

الفصل الثانى عشر : فى جامع فضائل بيت المقدس .

الفصل الثالث عشر : فى فضائل قبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم .

ويعتبر هذا الفصل الأخير ذا أهمية خاصة لأنه يعالج الكلام على فضائل «الخليل»،وهى المدينة التى ستصبح ذات أهمية خاصة بها ، ويصبح لها أيضا الدراسات المدعمة بالوثائق لما لهذه المدينة من أهمية فى فلسطين ومساندة الحق الشرعى للعرب فى هذه البلاد المقدسة .

واستفاد من محتويات هذا الكتاب اثنان من أبناء فلسطين ، صارا بدورهما من المؤرخين الفقهاء ، المدافعين عن قضية فلسطين والقدس . أما أولهما ، فهو أحمد بن محمد المقدسى (توفى سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٤ م) ، مؤلف كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » . وقد أتم تأليف هذا المصنَّف سنة ٧٥٢هـ - ١٣٥١ م ، وهو الوقت الذى اشتدت فيه دعاية الصليبيين من مركزهم الذى اتخذوه فى جزيرة قبرص ، أملا فى استئناف الحرب لاسترداد بيت المقدس . « فزعم الذين كفروا من هؤلاء الفرنج ... أنهم يسترجعون ماكان بأيدى أسلافهم — لعنهم الله — من هذه السواحل (الشامية) ..... وزعم صاحب قبرص — لعنه الله — أنه سيعود ملك بيت المقدس إليهم » .

وجاء كتاب المقدسى ردا على هذه الافتراءات الكاذبة . وقسّم مصنفه قسمين ، الأول فى فضائل الشام وفلسطين عامة تأكيداً للحق الشرعى العربى والإسلامى فى تلك البلاد ، ثم جعل القسم الثانى فى فضائل المسجد الأقصى خاصة وسير بعض الشخصيات التى ارتبط اسمها به . وكان الهدف من ذلك تشجيع المسلمين على زيارة فلسطين وتعمير القدس ، دفاعا عن أى خطر قد يتهدد تلك الأماكن المقدسة من جانب المركز العدوانى الجديد الموجود فى قبرص .

وخلف المقدسى فى التخصص فى القضية الفلسطينية المؤرخ الثانى الفقيه وهو اسحق بن ابراهيم التدمرى ، الذى اشتغل خطيبا بمسجد الخليل ،وهى المدينة التى جاءت بعد القدس من حيث جلالها فى نفوس العرب والمسلمين بوجود مقام ابراهيم الخليل بها . وقد أتم فى سنة ٨١٤هـ-١٤١١ م مصنفا جعل عنوانه « مثير الغرام فى زيارة الخليل عليه السلام » ، تحدث فيه عن مقام ابراهيم الذى عرفه معرفة جيدة ، وجعله موضوعا لخطبه ومواعظه بالمسجد . وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه أضاف دراسة قيمة عن مدينة « الخليل » من شأنها دعم التراث العربى فى فلسطين ، إلى جانب ماللعرب من حقوق أوضحتها أبحاث أسلافه من مواطنيه من أبناء فلسطين.

وتابع هذا النشاط العلمى للمؤرخين الفقهاء طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر جماعة من المؤرخين الفقهاء من أبناء مصر ، الذين أدلوا بدلوهم فى الدفاع عن القضية الفلسطينية ، متبعين نفس الأسلوب والمنهج الذى سار عليه إخوانهم الفلسطينيون . فوضع محمد بن بهادور المصرى (توفى سنة ٧٩٤ هـ-١٣٩٢ م) رسالة بعنوان« إعلام الساجد بأحكام المساجد » تناولت دراسات عن فلسطين ، ونقل منها الكثيرون ممن جاء بعده . ومن هؤلاء المؤرخ المصرى تاج الدين بن عبد الوهاب السبكى (توفى سنة ٧٧٦ هـ-١٣٧٠ م) ، وهو صاحب المصنف الشهير بعنوان « الروض المغرس فى فضائل بيت المقدس » . وكذلك أسهم المؤرخ الفقيه

المصرى شهاب الدين أحمد بن محمد الأقفهسى (توفى سنة ٨٠٨هـ - ١٤٠٥ م) بكتاب عنوانه « تسهيل المقاصد لزوار المساجد » .

وترجع أهمية هذه السلسلة من مؤرخى مصر إلى أنها غدت ينابيع جليلة الفائدة ، استفاد منها أعظم المصريين المتخصصين فى القضية الفلسطينية قرب نهاية القرن الخامس عشر ، وهو شمس الدين محمد بن أحمد السيوطى. وقام هذا المؤرخ المصرى بزيارات للبلاد العربية ، كان من بينها فلسطين ، حيث كان مشوقا بصفة خاصة لزيارة بيت المقدس ، وهى الزيارة التى تمت سنة ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م . وقد أتاحت له هذه الزيارة إتمام مؤلف شهير عن القضية الفلسطينية سنة ٨٧٥هـ - ١٤٧٠ م ، جعل عنوانه « إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى » .

وحرص السيوطى على إدخال تعديلات عديدة على مصنفه السالف الذكر مازالت تحملها المخطوطات التى وصلتنا عن هذا البحث العميق الواسع المجال فى نفس الوقت . إذ اشتمل « إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى » على ما يهم المتخصصين فعلا فى « قضية فلسطين والقدس » وتزويدهم بكل ما يلزمهم من وثائق ودراسات ، فى الشئون التاريخية والطبوغرافية والاجتماعية كذلك . وخصص السيوطى فصولاً من كتابه تحدث فيها أيضاً عن أهمية زيارة القدس ، والأحداث الإسلامية الهامة المتعلقة بها مثل الإسراء والمعراج. وتناول هذا المؤرخ الفقيه أيضا فى إسهاب الحديث عن الرسل ومشاهير الرجال الذين أقاموا بفلسطين ، وأولى فى تلك السبيل عناية خاصة لتاريخ ابراهيم الخليل و إقامته ببلاد العرب .

ويختتم هذه المجموعة من كبار المؤرخين الفقهاء عالم فلسطينى النشأة مصرى الثقافة ، وهو مجير الدين عبد الرحمن بن أحمد العليمى العمرى (توفى سنة ٩٢٨هـ - ١٥٢٢ م) . ويعتبر كتابه الذى يحمل عنوان « كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » دراسة نموذجية للقضية الفلسطينية. إذ أفاد من أبحاث أسلافه من المؤرخين الفقهاء ، ونسّق بينها تنسيقا رائعا

بما يخدم وجهة النظر الإسلامية وحقوق بنى وطنه من الفلسطينيين أيضا . وقد وصل فى دراسته إلى سنة ٩٢٤هـ - ١٥٠٨م، وهى مرحلة هامة فى تاريخ فلسطين والبلاد العربية كذلك .

واشتمل كتاب العليمى على أربعة أقسام كبرى ، الأول وصف فيه القدس، والثانى تناول وصف المسجد الأقصى وكذلك مدارس وأديرة فلسطين ومدنها ، والثالث تحدث فيه عن تراجم السلاطين والعلماء ، حسب المذاهب الأربعة ، والقسم الرابع ذكر فيه تاريخ الولاة حتى عهد سلطنة قايتباى . وصارت هذه المحتويات تمثل قاعدة راسخة للجيل الجديد الذى كان عليه أن يحمل لواء العمل فى أسلوب جديد فى ميدان القضية الفلسطينية . إذ انتهى العرض التاريخى لتلك المحتويات عند سنة ٩٢٤هـ - ١٥٠٨ م ، وهى السنة التى علا فيها نجم الأتراك العثمانيين ، وتطلعهم إلى زعامة العالمين العربى والإسلامى .

واقترن بهذا التطور السياسى ظهور المجموعة الثالثة من المؤرخين المسلمين من « عشاق فلسطين» . إذ ترتب على سيطرة العثمانيين على العالم العربى قيام مرحلة من الجمود شملت سائر أرجاء البلاد العربية ومن بينها فلسطين . وكان السبب فى تلك الظاهرة الخطيرة اتجاه العثمانيين إلى فرض العزلة على العالم العربى تحت وهم حمايته من الأطماع الخارجية والتى سبق أن اتخذت طيلة أيام الحروب الصليبية من الاستيلاء على فلسطين وبيت المقدس ستاراً لتحقيق أهدافها الاستعمارية .

وتولّى «عشاق فلسطين» المحافظة على الوعى العربى بالقضية الفلسطينية طوال هذه المرحلة المظلمة من الاحتلال العثمانى، ونشر هذا الوعى خاصة بين الجماهير العربية باعتبارها قاعدة الصمود فى كل حركة من حركات التحرير. واشتهر من علماء هذه المجموعة الثالثة من المؤرخين المسلمين من« عشاق فلسطين» محمد بن يحيى الحلبى (توفى سنة ١٠٩٠ هـ - ١٦٧٩ م) صاحب كتاب

« الإشارات إلى أماكن الزيارات » ، وعالم آخر اسمه « التمرتاشى » الذى ألف كتابا بعنوان « الخبر التام فى حدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام ». وترجع أهمية هذه المصنفات إلى أنها اكتسبت محبة شديدة بين الجماهير العربية وأقبلت عليها إقبالا عظيما .

وكان من أسباب نجاح « عشاق فلسطين » اعتمادهم على الرحلة إلى القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ، وتدوين مشاهداتهم الشخصية بدلا من الاعتماد على النقل فقط من المراجع السابقة . واشتهر فى هذا الميدان ابراهيم بن عبد الرحمن المدنى (توفى سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م) ، وهو ابن أحد العلماء المصريين الذين استقروا بالمدينة المنورة واليها انتسب . إذ زار المدنى بيت المقدس وجبل الخليل وغزه ، وتغنى بعشقه لهذه البلاد فى كتاب جعل عنوانه « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء » .

وبلغ هذا اللون من دراسات « عشاق فلسطين » أوجه فى القرن السابع عشر على يد عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى ، الذى قام بزيارات عديدة فى العالم العربى منذ سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٨ م ، زار خلالها فلسطين والقدس مراراً وتكراراً . حتى ملكت عليه تلك البلاد المقدسة فؤاده ، وتغنى بمآثرها الجليلة . وقسم النابلسى مصنفاته عن تلك الرحلات إلى ثلاثة أقسام ، أطلق عليها على التوالى اسم « الرحلة الصغرى » و « الرحلة الوسطى » و « الرحلة الكبرى » أما الرحلة الصغرى فزار أثناءها فلسطين والقدس ، وذلك ضمن جولاته فى لبنان . وسجل مصنفه عن تلك الرحلة بعنوان « حلة الذهب الأبريز فى رحلة بعلبك والبقاع العزيز » . وقصر النابلسى رحلته الوسطى على فلسطين حيث زار القدس والخليل وما جاورها من الأماكن المقدسة . ودوّن أخبار تلك الرحلة بعنوان « الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية » . أما رحلة النابلسى الكبرى فزار فيها الشام ومصر والحجاز ، موضحا فى دراسته عن تلك البلاد مشاهداته مرة أخرى عن الرملة والقدس وغيرهما من البلاد الفلسطينية التى مر بها مثل يافا وعسقلان وغزه . وأطلق

النابلسى على المصنف الخاص بهذه الرحلة اسم« الحقيقة والمجاز فى رحلة الشام ومصر والحجاز» .

ولقيت مصنفات النابلسى رواجاً كبيراً لأن صاحبها اشتهر أولا وقبل كل شىء ، أثناء رحلاته ، باعتباره درويشا متصوفا ، وأقبل عليه الناس فى كل مكان يلتمسون منه البركات ، ويقدمون له كافة أسباب الاحترام والإعجاب . وسيطر النابلسى على قلوب الجماهير أيضا لإجادته استعمال الموشحات ، وهو أمر محبب إلى عامة الجماهير ، ويساعد على إثارة الوعى فى نفوسهم دائما وأبدا . ومن ثم لم تستطع العزلة التى فرضها الحكم العثمانى على البلاد العربية أن تنسى جماهير تلك البلاد « قضية فلسطين والقدس » ، وظلت أعمال «عشاق فلسطين» تحافظ على جذوة هذه القضية كامنة فى النفوس العربية كما يكمن اللظى فى الرماد .

وحمل النابلسى الذى توفى سنة ١١٤٣ هـ - ١٧٣١ م لواء « عشاق فلسطين » حتى مطالع القرن الثامن عشر الميلادى ، حيث تسلمه منه المجموعة الرابعة من المؤرخين المسلمين من« جماعة إحياء التراث الفلسطينى » . ذلك أن التطورات السياسية التى شهدها هذا القرن فرض على« قضية فلسطين والقدس » أن تأخذ هذا الطابع من الدراسة والبحث . فالركود العثمانى الجاثم على البلاد العربية امتزج فى هذا القرن بتجدد الأطماع الأوربية للسيطرة على فلسطين والقدس ، تحت تقسيم الدولة العثمانية وسلبها ممتلكاتها العربية . ومن ثم لم يجد المؤرخون المسلمون فى القرن الثامن عشر من سبيل للمساهمة فى «قضية فلسطين والقدس » سوى العمل على إحياء التراث الخاص بتلك القضية ، والمحافظة على ما أسهم به أسلافهم وحمايته من الضياع ، وسط الأخطار المدلهمة التى جاءت نتيجة العجز المادى الذى أصاب الدولة العثمانية ، والركود القاتل الذى حل بالبلاد العربية التابعة لتلك الدولة .

وجاء على رأس « جماعة إحياء التراث الفلسطينى » اثنان من خيرة المؤرخين المسلمين ، أجادا المحافظة على تقاليد أسلافهم من العاملين فى القضية

الفلسطينية منذ بدايتها ، والحرص على العمل المشترك فى نفس الوقت . والمؤرخ الأول هو محمد بن محمد شرف الدين الخليلى المقدسى ، فلسطينى النشأة ، مصرى الثقافة . وقد وضع رسالة بعنوان « تاريخ بناء البيت المقدس » جاءت نموذجا لنشاط « جماعة إحياء التراث الفلسطينى » . إذ اعتمد هذا العالم اعتمادا أساسيا على المصنف الذى وضعه مجير الدين بعنوان « كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ، وهو المصنف الذى صار دراسة نموذجية للقضية الفلسطينية منذ القرن السادس عشر ، وجاء ثمرة من ثمار البحث القيم لجماعة المؤرخين الفقهاء . واتبع المقدسى فى مصنفه نفس التقسيمات التى سادت كتب أسلافه إمعانا فى المحافظة على التراث الفلسطينى ، من حيث تشجيع الناس على زيارة بيت المقدس ، وبيان فضائلها وتاريخها أيضا .

وأوضح المقدسى فى مقدمة مصنفه هدفه من إحياء التراث الفلسطينى فقال ، إن « المنصور المؤيد بالبرهان والسير فى سائر الزمان هو من يزور المقدس وما حولها » . ثم أخذ بعد ذلك يسرد المحتويات على نفس نهج السابقين له من مؤرخى القضية الفلسطينية بصورة تكاد تكون حرفية . فذكر فى الفصل الأول فضل الإقامة فى بيت المقدس والعمارة فيه وما ينطوى عليه ذلك من خير . وتناول فى الفصل الثانى العيون والآبار ومنابع المياه ، وذكر فى الثالث تاريخ المدينة ناقلا كمية كبيرة من الأشعار التى قيلت فى مدح القدس . والفصل الأخير تناول فيه الأنبياء والصالحين الذين ارتبط اسمهم بالقدس وفلسطين .

وظل المقدسى وفياً لقضية بلاده حتى توفى بالقدس سنة ١١٤٨هـ - ١٧٣٥م . وحمل اللواء من بعده معاصره ، وهو المؤرخ الثانى من خبراء « إحياء التراث الفلسطينى » مصطفى أسعد بن أحمد بن محمد الدمياطى المولد (فى عام ١١٠٥هـ - ١٦٩٣م) . واهتم الدمياطى فى « إحياء التراث الفلسطينى » بالنموذجين اللذين اشتهرا فى التصانيف السابقة لعصره ، وهما نموذج « الفضائل »

ونموذج «الرحلات» . فوضع على نمط كتب الفضائل مصنفه المشهور بعنوان « لطايف أنس الخليل فى تحايف القدس والخليل » . واشتمل هذا الكتاب على ثمانية أبواب كبرى ، مع مقدمة وخاتمة . وتناول المؤلف فى البداية الكلام على حدود فلسطين ومدنها الكبرى ، أما الباب الأول والثانى فقد ذكر فيهما « أسماء البيت المقدس وشرفه » ثم أسماء ولاته ومن عاش فيه من الشخصيات الهامة . وأعقب ذلك وصف المسجد الأقصى مع الكلام عن القدس نفسها وآثارها الأخرى . ونالت « الخليل » مكانتها أيضا فى هذا الكتاب ، وكذلك الأنبياء والصحابة وغيرهم من الشخصيات التاريخية التى ارتبطت بفلسطين . أما خاتمة الكتاب فقصرها المؤلف على « ذكر الشام وفضائلها وبهجتها وشرف محلها » ، إمعانا فى تجميع أكبر قدر ممكن من التراث الفلسطينى .

وعزز الدمياطى مجهوداته فى جمع التراث الفلسطينى عن طريق النمط الثانى من مؤلفات المؤرخين المسلمين ، وهو « الرحلات » . إذ قام برحلة إلى القدس سنة ١١٤٩ هـ - ١٧٣١ م استغرقت ستة أشهر ، ودوّن أخبارها فى مصنف بعنوان « موانح الأنس برحلتى لوادى القدس» . واتبع فى سرد مشاهداته العينية أسلوب « عشاق فلسطين » الذى سبق أن لقى رواجا عظيما بين جماهير البلاد العربية . وساعد الدمياطى فى هذا السبيل أنه كان شاعرا ، ومن أصحاب المقامات القادرين على عرض المواضيع بأسلوب مشوق . واستطاع بذلك أن يحافظ على جميع المناهج التى سارت عليها مؤلفات السابقين ، ويجعل تراث جهادهم وأبحاثهم فى متناول الجميع ، من المثقفين وجماهير الشعوب على حد سواء .

وصارت مصنفات الدمياطى بذلك ، مع زملائه من « جماعة إحياء التراث الفلسطينى » تكوّن عملا جليلا عميق الأثر فى سبيل خدمة « قضية فلسطين والقدس » فى القرن الثامن عشر الميلادى ، الذى يمثل نقطة تحول خطيرة فى تاريخ تلك القضية المصيرية . ذلك أن اعتماد علماء تلك الجماعة على النقل

الحرفى من المصنفات المبكرة ، حافظ على كثير من الوثائق الهامة والدراسات المتعلقة بتلك القضية المزمنة ، وأنقذها من الضياع الذى كادت تتعرض له ، على نحوما أصاب الأصول الأولى لبعض تلك المصنفات . ثم إن المحتويات الحرفية لمصنفات القرن الثامن عشر أوضحت النصوص التى اشتملت عليها البقية الباقية من المصنفات المبكرة ، وسدّت بعض الثغرات التى حلّت بها نتيجة العبث الذى أوقعته يد الحدثان ببعض سطورها .

واستطاعت أخيراً أعمال « جماعة إحياء التراث الفلسطينى » أن تحافظ على تماسك الفكر العربى الإسلامى واستمراره ، وأن تعبئه للتصدى للخطر الاستعمارى فى القرن الثامن عشر ، على نحومافعله أسلافهم من قبل . ولكن لمّا كانت تلك الأطماع الأوربية المتجددة هى التى اصطحبت معها جرثومة الصهيونية وهيأت لها أن تبيض وتفرخ ، فإن نصرة « قضية فلسطين ، والقدس » تتطلب اليوم إذاعة الوثائق التى حفظتها « جماعة إحياء التراث الفلسطينى » ، ونشر أصولها التى أفنى المؤرخون المسلمون بياض نهارهم وسواد ليلهم فى جمعها وتصنيفها . إذ تمد تلك الدراسات « حركة التحرير الفلسطينية » فى الوقت الحاضر بكافة أسباب القوة ، وتهيء لها الانطلاق فى عزم وثبات للفوز فى قضية المصير العربى ، « قضية فلسطين وحاضرتها القدس الشريف » .

المراجع

أولا : المخطوطات

— التمرتاشى (لاتُعرف سنة وفاته)

« الخبر التام فى حدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام »

(يرجع تأليف هذا الكتاب إلى سنة ١١٠٦ هـ - ١٦٩٤ م) .

— الربعى ، أبو الحسن على بن محمد (توفى سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م)
« الاعلام بفضائل الشام ودمشق وذكر ما فيهما من الآثارات والبقاع الشريفة » .

— السيوطى ، شمس الدين محمد بن أحمد (لاتُعرف سنة وفاته)
« اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى » .

— ابن عبد الجبار أبوسعد بن عبد الكريم بن محمد بن منصور (توفى سنة ٥٦٢ هـ - ١١٦٦ م)
« فضائل الشام » .

— العينى ، محمود بن أحمد (توفى سنة ٨٥٥هـ - ١٤٥١ م)
« عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » .

— الفزارى ، برهان الدين ابراهيم (توفى سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٩ م)
« باعث النفوس إلى زيارة القدس الشريف المحروس » .

— المقدسى ، شهاب الدين أحمد بن محمد (توفى سنة ٧٦٥ هـ - ١٣٦٤م)
« مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » .

ثانيا : المصادرالعربية :

— ابن اياس :
« بدائع الزهور فى وقائع الدهور » (بولاق)

— ابن خلكان :
« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» (تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد)

— ابن شداد :
« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» (تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال)

— ابن كثير :
« البداية والنهاية » (طبعة القاهرة ١٣٥٨)

— ابن واصل :
« مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب» (تحقيق الدكتور الشيال)

— أبوشامة :
«كتاب الروضتين » (تحقيق الدكتور محمد حلمى أحمد)

— أبو الفدا :
« المختصر فى أخبار البشر » (القاهرة ١٣٢٥ هـ)

— أبوالمحاسن :
« النجوم الزاهرة » (طبعة دار الكتب — القاهرة ١٩٥٦)

— مجير الدين بن عبد الرحمن بن أحمد العليمى :
«كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » (١٨٢٣ هـ)

— المقريزى :
« السلوك لمعرفة دول الملوك » الجزء الأول تحقيق دكتور محمد مصطفى زيادة — الجزء الثالث تحقيق دكتور سعيد عاشور .

— ياقوت :
« معجم الأدباء » (القاهرة ١٩٣٦)

ثالثا : المصادر الحديثة :

— أحمد دراج :
« المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى »
(١٩٦١)

- السيد الباز العرينى :

« مصر فى عصر الأيوبيين » (القاهرة ١٩٥٩)

- جمال الدين الشيال :

« مصر الإسلامية » - الجزء الثانى (١٩٦٧)

- حسن حبشى :

« الحروب الصليبية » (القاهرة ١٩٤٧)

« الشرق الأوسط بين شقى الرحى » (القاهرة ١٩٣٨)

« نور الدين والصليبيون » (القاهرة ١٩٤٨)

- سعيد عاشور :

« الحركة الصليبية » (القاهرة)

« العصر المماليكى فى مصر والشام » (١٩٦٥)